الفصل الثالث:
خلق حواء وإقامتها مع آدم في الجنة

خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام. وعندما نفخ فيه الروح، رفض إبليس أن يطيع الله عز وجل، وأن يسجد لآدم مع ملائكة الرحمن. فطرده الله العلى القدير من رحمته، وأخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض كما سيأتى ذكره.. فصار آدم عليه السلام وحيدا في الجنة. وكان يمشى فيها فيحس بالوحشة والوحدة. فأراد ربه جل جلاله أن يُذهب عنه الوحشة والوحدة.

فنام آدم عليه السلام نومة واستيقظ، فوجد حواء التي خلقها الله تعالى له، من ضلع من أضلاعه ليأنس بها ويسكن إليها. وفى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك.. ففى كتاب الله العزيز نجد آيات كثيرة تدل على ذلك، منها قوله تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا }الآية [الأعراف: ١٨٩].. وأما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنجد رواية أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:♂**استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا**ـــ [1]..

وقد ذكر ابن اسحاق " أُلقيت السِّنَةُ على آدم فيما بلغنا عن أهل

(1) رواه الشيخان عن أبى هريرة ص21 - من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم. عن ابن عباس وغيره، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحما. وآدم نائم لم يهب من نومه. حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن إليها. فلما كَشَفَ عنه السنة وهب من نومه رآها إلى جنبه فقال: - فيما يزعمون - لحمى ودمى وزوجتى فسكن إليها " [1].. فلما خلق الله تعالى لآدم زوجة من نفسه فسكنت إليه وسكن إليها " قال له قبيلا: {يَٰٓـَٔادَمُ [2] ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾} [البقرة: ٣٥][3] الآية..

وسياق هذه الآية الكريمة يوحى بأن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة. كما صرح بذلك محمد بن إسحاق في روايته السابقة. ويؤيد ابن إسحاق ومن نحا نحوه رواية ذكرت عن ابن عمر وابن عباس، رضى الله عنهما، قالا: " بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على سرير من ذهب كما تحمل الملوك، ولباسهما النور. على كل واحد منهما إكليل ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ. وعلى آدم منطقة مكللة بالياقوت واللؤلؤ حتى أدخلا الجنة " [4].

ويرجح فكرة هذه الرواية، ما رواه الحافظ ابن عساكر عن مجاهد في شأن إخراج آدم وحواء من الجنة، قال: " أمر الله ملكين أن يخرجا

(1) ص76، ص77من الجزء الأول من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير. لأم مكانه لحما: أى خلق مكان الضلع لحما سواه مع بقية أضلاع شقه الأيسر - السِّنة: النوم.
(2) صحتها اللغوية هكذا (يآدم) أما في القرآن الكريم فتكتب كما هى مثبتة في الآية الكريمة أو هكذا(ءادم) إذا لم تسبق بياء النداء.
(3) قبيلا: أى عيانا نفس الصفحة من المرجع السابق
(4) نقلت هذا الأثر عن الدكتور مصطفى مراد - الأستاذ بجامعة الأزهر الصحفية أمانى ماجد في صفحة فكر دينى - بالأهرام - الجمعة غرة رمضان عام 1425هـ..

آدم وحواء من جواره. فنزع جبريل التاج عن رأسه. وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه وتعلق به غصن، فظن آدم أنه عوجل بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: العفو العفو فقال الله: أفرارا منى يا آدم. قال: بل حياء منك يا سيدى " [1]..

ولكن قال آخرون: إن خلق حواء كان بعد دخول آدم الجنة. وقد قال بذلك السدى عن أبى مالك، وأبو صالح عن ابن عباس، ومرة عن ابن مسعود، وناس من الصحابة. قالوا: " أُخرج إبليسُ من الجنة وأُسكن آدم الجنة، فكان يمشى فيها وحشيا ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ، وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه. فسألها من أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولم خُلقتِ؟ قالت: لتسكن إلىّ. فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حى " [2].

وسواء أكان خلق حواء قد تم قبل دخول آدم الجنة، أم كان بعد دخوله عليه السلام إليها. فالمهم أنها خلقت ليأنس بها آدم وتأنس به، وليسكن إليها وتسكن إليه، وهذا هو الهدف الأول من وراء الزواج السعيد المؤدى إلى التناسل السعيد والنسل المبارك..

وقد سكن آدم وحواء عليهما السلام الجنة، امتثالا لأمر الله عز وجل، إلى أن أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما الجليل عن الأكل منها. فاستمعا بذلك إلى وساوس إبليس اللعين، عدوهما اللدود. فأمرهما ربهما بالنزول إلى الأرض، بعد أن قبل توبتهما؛ ليواجها

(1) ص19، 20من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير..
(2) ص12من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبى عبد الله الأنصارى.

مع ذريتهما إبليس وذريته في حياة دنيوية مؤقتة.

وقد قال ربنا الكريم في ذلك:{ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾} [البقرة: ٣٥ - ٣٧].

وقد اختلف العلماء في المدة التي قضاها آدم وحواء في الجنة. فقال الأوزاعى عن حسان بن عطية: " مكث آدم في الجنة مائة عام " وفى رواية " ستين عاما " (1). وهناك من الأحاديث النبوية الشريفة ما يدل على أنهما مكثا في الجنة بعض يوم. وقد سبقت الإشارة إليه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم :♂**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة**ـــ (2) وكذلك قول ابن جرير في مقدار الساعة من يوم الجمعة وهو ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر. قال ابن جرير: " ومعلوم أنه خُلق في آخر ساعة من يوم الجمعة، والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فمكث مُصورا طينا قبل أن يَنْفُخَ فيه الروح أربعين سنة، وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثا وأربعين سنة وأربعة أشهر، والله تعالى أعلم " (3)..

وهكذا تكونت أول أسرة في الوجود الإنسانى من آدم وحواء

(1) رواه ابن عساكرص20 من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبى عبد الله الأنصارى.
(2) رواه مسلم عن فروخ عن أبى هريرة عن النبى ◘. نفس الصفحة من المرجع السابق.
(3) قاله ابن جرير ص 35 من نفس المرجع

عليهما السلام. ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن آدم عليه السلام قد تلقى وعدا من ربه جل جلاله بتحقيق السعادة له ولزوجته ماداما متجنبين لوساوس إبليس عدوهما في السماء وعدوهما في الأرض..

ويقتضى هذا الوعد الربانى الكريم؛ أنه إذا أطاع آدم إبليس في الأرض فسيشقى، وإذا أذعن أحد من أبنائه لوساوس إبليس الرجيم وحزبه، فسوف يشقى فيها كما شقى آدم عند سماعه لإبليس وأكله من الشجرة التي نُهى عنها، فأخرجه الله من جنته وأُهْبِطَ إلى الأرض ليشقى بالبحث عن قوته وقوت زوجته ومتطلبات عيشه على وجه الأرض هو وأسرته بعد أن كان مستريحا في الجنة يذلل له كل شيء.. ويتضح ذلك من قوله تعالى:{ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾} [طه: ١١٧]. والشقاء هنا بنص القرآن الكريم مقدر على آدم وذريته من الرجال دون النساء. وهذا يعنى أن الرجل هو المطالب شرعا بالإنفاق على زوجته، وعلى بيت الزوجية، من كده وسعيه حتى لو كانت لها ذمة مالية مستقلة. وهذا أمر في غاية الأهمية. حيث يمثل أساسا قويا من أسس نجاح الأسرة الناشئة وسعادتها واستقرارها...

* * *